الباب الأول

مفاهيم وتعريفات

obeikandl.com

obeikandl.com

المفهوم والمبادئ

الهَوِيَّةُ البئرُ البعيدةُ القعر وهُوِيَّةُ الْإِنْسَانِ حَقِيقَتُهُ الْمُطْلَقَةُ وَصِفَاتُهُ الْجَوْهَرِيَّةُ والهوية تعني جوهر الشيء وحقيقته التى يتميز بها عن غيره، وعلم النفس اهتم بالجانب الإجتماعي للهوية وكانت هناك محاولات عديدة لتعريف الهوية خاصة من خلال دراسة مفاهيم الذات الإجتماعية والشخصية الإجتماعية وغيرها،ويؤكد وليم جيمس أن الهوية ظاهرة نفسيـة إجتماعية تقع عند نقطة التقاء معرفة الذات من طرف الإنسان نفسـه ومن طرف الآخرين والهوية لا تنفصل عن الثقافة التي تتغذى منها،وفي مجال العلوم الإجتماعية يتميز مفهوم الهوية الثقافية بغموض وتعدد معانيه، ونظراً لحداثة هذا المفهوم، فقد شهد عدداً من التعاريف وتحولت من مفهوم إلى فكرة في الولايات المتحدة الأمريكية خلال الخمسينيات والهُوِيَّةُ في الفلسفة : حقيقةُ الشيءِ أو الشخص التي تميزه عن غيره .

وهى إحساس الفرد بنفسه وحفاظه على تكامله وقيمته وسلوكيَّاته وأفكاره في مختلف المواقف والْهُوِيَّةُ الْوَطَنِيَّةُ مَعَالِمُهَا وَخَصَائِصُهَا الْمُمَيَّزَةُ وَأَصَالَتُهَا وهى الوعي بالذّات الثقافيّة والاجتماعيّة، ولا تعتبر ثابتة، إنّما تتحوّل تبعاً لتحوّل الواقع فهي عبارة عن سماتٍ تميّز شخصاً عن غيره أو مجموعة عن غيرها وهي الخصوصيّة والذّاتيّة وهي ثقافة

الفرد ولغته وعقيدته وحضارته وتاريخه وجزء لا يتجزّأ من منشأ الفرد ومكان ولادته حتّى وإن لم يكن أصله من نفس المنشأ.

وفي اللّغة مشتقّة من الضّمير هو أمّا مصطلح الهوَ فهو المركّب من تكرار كلمة هو، وتمّ وضعه كاسم معرّف بأل ومعناه الاتّحاد بالذّات ويشير مفهوم الهويّة إلى ما يكون به الشيء هو هو،أي من حيث تشخّصه وتحقّقه في ذاته ومحتوى لهذا الضمير في الوقت نفسه ، بما يشمله من قيم وعاداتٍ ومقوّمات تكيّف وعي الجماعة وإرادتها في الوجود والحياة داخل نطاق الحفاظ على كيانها.

ومن مبادئ الهوية أن تكون الهويّة منسجمة مع معطيات الفكر القانوني والسّياسي، الّذي يستند إلى قانون المواطنة بوصفها معياراً جوهريّاً لتحقيق المساواة وأن تعبّر الهويّة عن الواقع، أي أن تكون انعكاساً لتصوّر فئة ما دون غيرها.

وعن المفهوم الفلسفي للهويّة فالذّات هي ما يسمّيه الفلاسفة بالهويّة؛ فذات الإنسان هي هويّته،وهي كلّ ما يشكّل شخصيّته من مشاعر وأحاسيس وقيم وآراء ومواقف وسلوك؛ وكل ما يميّزه عن غيره من النّاس وقد عرّف أريكسون الهويّة الشخصية،أو الذّات، بأنّها الوعي الذّاتي ذو الأهميّة بالنّسبة للاستمرار الأيديولوجيّ للشخصية، وفلسفة الحياة الّتي يمكن أن توجّه الفرد، وتساعده في الاختيار بين إمكانيّاتٍ

متعدّدة، وكذلك توجّه سلوكه الشّخصيّ أمّا هنري تاشفيل، وجون تيرنر الباحثان الإنجليزيّان في علم النّفس الاجتماعي فاستعملا مصطلح الهويّة الشخصية، مقابل الهويّة الاجتماعيّة وكان القصد من مصطلحهما الذّاتيّة، الّتي تعرف الفرد بالمقارنة مع الآخرين.

السياسات والمكوّنات وأهمية الهويّة

وسياسات الهوية عبارة عن مجموعة من الحجج السياسية التي تركز على المصلحة الذاتية ووجهات النظر الخاصة بالمجموعات ذات المصلحة الاجتماعية المحددة ذاتيًا، والوسائل التي يمكن عن طريقها تشكيل سياسات الشعوب بواسطة مظاهر هويتهم التي يتم تحديدها عن طريق العرق أو الطبقة أو الدين أو الجنس أو الأيديولوجية أو الولاية أو التوجه الجنسي أو الثقافة أو العملة أو تفضيل المعلومات أو التاريخ أو الأسلوب الأدبي أو الموسيقي أو الظروف الطبية أو المهنة أو الهواية أو أي شيء آخر مرتبط على نحو غير مضبوط ولكن بسيط بالنسبة لإدراك المنظمات الاجتماعية وليس من الضروري مشاركة كافة الأعضاء من أي مجموعة في سياسات الهوية وربما تكون هذه الممارسة موجودة منذ أمد طويل؛ لكن لم يظهر هذا المصطلح صراحةً إلى جانب كافة الحركات المرتبطة به إلا في النصف الثاني من القرن العشرين كذلك يمكن التعرض لهذا المصطلح بطريقة أكثر شيوعًا في الحركات الطبقية

والنسائية لكن حيثما وجد هذا المصطلح، فإنه يصبح مجالاً للمناقشة والنقد على نطاق واسع ويعد تأثير الأقلية أحد المكونات الرئيسية لسياسات الهوية فتأثير الأقلية شكل من أشكال التأثير الاجتماعي الذي يحدث عندما يتم التأثير على الأغلبية لقبول معتقدات أو سلوك الأقلية وعلى عكس أشكال التأثير الأخرى،عادةً ما يتضمن هذا النوع من التأثير تغيرًا شخصيًا في الرأي الخاص ويطلق على هذا التغير الشخصي في الرأي تحولاً.

والهوية المكانية تعبير يشير إلى مجموعة من الأفكار حول المكان وهويته في مجالات الجغرافيا والتخطيط العمراني وتصميم العمران والمناظر الطبيعية وعلم النفس البيئي وعلم الاجتماع العمراني وعلم الاجتماع البيئي ويختص هذا المصطلح بمعنى الأماكن وأهميتها للقاطنين فيها ومستخدميها ويطلق على الهوية المكانية في بعض الأحيان الشخصية الحضرية أو شخصية المنطقة السكنية أو الشخصية المحلية.

وقد برزت قضية الهوية المكانية بوصفها إحدى القضايا التي تحظى بالاهتمام في التخطيط والتصميم العمراني خلال ربع القرن الماضي ومع ازدهار الحركة العالمية لحماية المواقع ذات الأهمية الخاصة في التراث، ازدادت المخاوف بشأن فقد الشخصية الفردية والسمات المميزة بين الأماكن المختلفة نظراً للتأثير الذي تتركه العولمة الثقافية عليها.

أما مكونات الهوية فتشمل موقع جغرافي وذاكرة تاريخيّة وطنية مشتركة وثقافة شعبيّة موحّدة وحقوقٌ وواجباتٌ مشتركة واقتصاد مشترك.

وإذا كانت هذه هي الهوية فهى مهمة وعند المسلمين أكثر أهمية، والإسلام بعقيدته وشريعته وتاريخه وحضارته ولغته هوية مشتركة لكل مسلم، كما أن اللغة التي نتكلم بها ليست مجرد أداة تعبير ووسيلة تخاطب، إنما هي: الفكر والذات والعنوان، بل ولها قداسة المقدس، وأصبحت لسانه بعد أن نزل بها نبأ السماء العظيم، كما أن العقيدة التي نتدين بها ليست مجرد أيديولوجية وإنما هي: العلم الكلي والشامل والمحيط، ووحي السماء، والميزان المستقيم، والحق المعصوم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهي منظومة القيم التي تمثل مرجعنا في السلوك، فهي ليست نسبية ولا مرحلية وقد أدرك الأعداء ذلك فالصليبية والشيوعية والصهيونية اليوم ترى أن استعادة المسلمين لهويتهم الإسلامية وانتمائهم القرآني هو أكبر الأخطار ، ومن ثم فإن كل قوى التغريب والغزو الثقافي ستطلق في هذا الاتجاه، ويقوم الاستشراق والتنصير بدور كبير .

كما أن الغرب أحرص ما يكون على هوياتهم، وعلى ذوبان المسلمين المهاجرين في مجتمعاتهم، بل إن هناك مؤسسات ووزارات خاصة

للاندماج وتذويب الهويات وأوروبا ترفض تركيا بسبب الهوية ليس إلا، وكما قال الرئيس أوزال سنة ١٩٩٢م: سجل تركيا بالنسبة لحقوق الإنسان سبب ملفق لعدم قبول طلب انضمامها إلى الاتحاد الأوروبي، السبب الرئيسي هو أننا مسلمون وهم مسيحيون فالقوى الأوروبية تظهر صراحة أنهم لا يريدون دولة إسلامية في الاتحاد الأوروبي، ولا يسعدهم وجود دولة إسلامية أخرى كالبوسنة انها حرب هويات كما يقول هنتجنتون حيث نجد تركيا تعيد تأكيد دورها كحامية للبلقان وتدعم البوسنة،في يوغوسلافيا السابقة،وروسيا تساند الصرب الأرثوذوكسية ،وألمانيا تساعد كرواتيا الكاثوليكية ،والدول الإسلامية تهرع لمساعدة حكومة البوسنة، والصرب يحاربون الكروات ومسلمي البوسنة ومسلمي ألبانيا والهويّة الوطنيّة هي مجموع السّمات والخصائص المشتركة الّتي تميّز أمةً أو مجتمع أو وطن معيّن عن غيره، يعتزّ بها وتشكّل جوهر وجوده وشخصيّته المتميّزة .

الهويّة العربيّة

بدأت الهويّة العربية في التشكّل دستوريَاً منذ كتابة صحيفة النّبي ص بعد هجرته إلى يثرب، وانطلقت من مبدأ التغيّر مع الإبقاء على الثّوابت، لذلك شاركت الهويّة العربيّة في منظومة الإنتاج الحضاري، وبناء التّراث

العالمي، وبقيت اللّغة العربيّة محافظة على ثباتها الإيجابيّ باعتبارها مكوّناً أساسيّاً للهويّة العربيّة .

وما دمنا نتحدث عن الهوية وجب الحديث عن العلاقة بين اللغة والثقافة والهوية لأنهما من المكونات الأساسية لها وبداية يثور تساؤل هام هو ما حدود العَلاقة بين اللُّغة والهُويَّة؟ وهذا يستدعي مجموعة من النّقاط والأسئلة التي ترتبط بالدوائر التي يلتقيان أو يفترقان (اللغة والهُويَّة) فيها .

بعضُ الألفاظ قريبة منَّا إلى درجة أنَّنا نغفل عن دلالاتها البعيدة أو العميقة،ونستحضر القريبة،أو المباشرة فحسبُ، ومع مرور الزمن، وكثرة تداولها تنزوي الدلالات البعيدة أو العميقة، حتى تختفيَ تمامًا، فلا تكاد تظهر ويتداولها نفرٌ محدود من الناس، حتى هذا الظهور يكون محاصَرًا في الغالب داخلَ قاعات ضيِّقة، أو وراءَ جُدران سميكة.

مِن هذه الألفاظ: اللُّغة، والهُويَّة، ماذا بقي لنا من دلالات هذين اللفظين؟ لم يبق من الأوَّل سوى الاتصال أو التواصل، ولم يبقَ من الثاني سوى البطاقةِ الشخصيَّة التي تسمَّى في بعض البلاد العربية بالاسم نفسه بطاقة، وفي بعضها هُويَّة، وفي بعضها الآخر، وداخل شرائح من هذا البعض يتمُّ الاتجاه إلى لفظ أجنبي دخيل، قد يكون: I.D ولو نظرنا في هذه الدلالات القريبة المسطَّحة، فهي لا تتجاوز في اللغة

ما يُردِّده اللسان، أو يُلقي به لنقضيَ الحوائج اليوميَّة، ونحقّق التواصل مع المجتمع، وأحياناً التعبير عن أنفسنا في إطار مشاغل الحياة وهمومِها ولا تتعدَّى في الهُويَّة التعريف بالأنا الفرديَّة مقطوعة الصِّلة بالأنا الجماعية بمختلف مستوياتها ومِن المفارقات اللافتة: أنَّ العامَّة أصبحوا اليومَ أكثر صدقًا وعفويةً في الالتفات إلى المستويات العُليا للهويَّة،أو للأنا، كأنَّ الوعي البسيط والعفويَّ يقترب بنا من المثل والغايات والحقائق، وفي الوقت نفسِه من المصالح وتحقيق الذات، أكثر مِن الوعي والعاقل، وربَّما يرجع ذلك إلى أنَّ النخب واقعةٌ تحت تأثير الأنانية، وبريق المال، وسطوة الإعلام، وضغوط السُّلطة، وجاذبية الفلك القويِّ الذي لا يرحمُ مَن يقترب منه، فيبتلعه نحن إذًا في حاجةٍ إلى أن نتبيَّن الدلالاتِ القريبة والبعيدة، الظاهرة والمستترة، لكلٍّ من هذين اللفظين، حتى نصل إلى غايتنا المتوخاة.

علاقة اللغة والثقافة بالهوية:

بين اللُّغة والثقافة رباط حميم، فلا نتصوَّر لغةً ما لاتنتج ثقافة، أيًّا كانت اللُّغة، وأيًّا كانت الثقافة، كما أنَّنا لا نتصوَّر ثقافة لا تعتمد في جانب أساسي منها على وعاءٍ لُغويٍّ يحتويها، ويتفاعل معها وينقلها، هما إذًا دائرتان متداخلتان لا يُمكن أن نُخَلِّص إحداهما من الأخرى، نقول ذلك دونَ أن ندخل في تعريفاتِ الثقافة وتوجُّهاتها، فليس هذا موطنَه، وما

يهمنا أن نؤكّد على نقطة مهمَّة؛ هي: أنَّه إذا كانت اللُّغة هي الفِكرَ الذي يتفاعل مع الأشياء، ويقف منها أو معها مواقفَ محدَّدة، فإنَّ الثقافة هي أيضًا ذلك الشيء،أو تلك الأشياء المتشابكة،غير الملموسة التي تُملي عليه طرائقُه في التعامل مع الأشياء، وتحدِّد استجاباتِه تُجاهها، نحن إذًا أمام وجهين لشيءٍ واحد، قد تكون الثقافة أعمَّ، إذِ اللُّغة عنصر مهمٌّ للغاية في بنائها، وتوجيه مسارها، على أنَّ للثقافة دورَها الخطير في التأثير في اللُّغة باعتبارها فكرًا، واللغة والثقافة معًا ليستَا نابعتَين من داخل الإنسان،أو ليستَا فرديَّتين؛ لكنَّهما جزءٌ من حراك الوسط الذي يعيشان فيه، ومِن هنا تأتي التفرقة الضروريَّة بينهما، وبين العِلم الثقافة نظرية في السُّلوك أكثر من أن تكون نظرية في المعرفة، وبهذا يمكن أن يُقاس الفرق الضروري بين الثقافة والعِلم.

اللُّغة أقدمُ تجليات الهويَّة، أو لنقلْ: هي التي صاغتْ أوَّل هويَّة لجماعة في تاريخ الإنسان، فاللسان الواحد جعل من كلِّ فئة من الناس جماعة واحدة، ذات هويَّة مستقلة، ويزداد الاهتمام باللُّغة والهويَّة معًا، ويشيع الحديث عنهما، في المنعطفات أو المفاصل التاريخيَّة في حياة الجماعات، وهي منعطفات أو مفاصل ليستْ من نوع واحد، فقد يكون منعطفًا أو مفصلاً حضاريًّا إيجابيًّا وقد يكون سلبيًّا تتعرَّض فيه للانكسار، وتغزوها رياحُ التشتُّت والطمس وربَّما الغياب عن ساحة الفعل والتأثير في

الحالين تبرز قضية اللُّغة، وقضية الهويَّة، وفي الغالب يتمُّ الربط بينهما إلى درجةِ أنَّهما يكادان يُصبحان شيئًا واحدًا.

وفي هذا السِّياق نستحضر بواكيرَ التحوُّل العربي من ضيق القبلية والبداوة إلى سَعة الحضارة والمدنيَّة، هذه النقلة التي أحدثها الإسلامُ، وكان أحدَ تجلياتها الواضحة الاتجاهُ الكبير نحو التدوين اللُّغوي، ونشاط الدِّراسات اللُّغويَّة والنَّحْوية، في إشارة واضحة وعميقة إلى التحوُّل في حياة أولئك الأعراب، وشعورهم بأنَّهم أصحابُ هويَّة.

الصورة المقابلة صورتنا نحن العربَ والمسلمين بعد الحقبة العثمانيَّة، وموت الرجل المريض، وفيها يبدو المسلمون عامَّة، والعرب منهم خاصَّة ، في طريقهم إلى التشرذم والتفكُّك تحت تأثير الانقطاع الحضاريِّ الطويل، والسُّبات الذي امتد قرونًا، وأيضًا تحت تأثير العقل الامبريالى الذي يُريد أن ينهب ويُهيمن ويستتبع، ويومها أيضًا برزت قضية اللُّغة، وإن كانت الظروف مختلفة، فقد قُدِّمت اللُّغة العربيَّة على أنَّها بديلٌ للفكر الذي غذاها الإسلام،وجُعل عُنصرًا هوية الأمَّة نقيضان .

إنَّ كلاًّ من اللُّغة والهُويَّة خاصية إنسانيَّة، فاللُّغة هي لغة الإنسان، لا يشاركه فيها كائنٌ آخر، وكذا شأن الهُويَّة، فما يجمع بين فصيل من الحيوانات أو سِرْب من الطيور أو نحو ذلك، ليس بالتأكيد هُويَّة وإنَّما كانتا اللُّغة والهُويَّة خاصيتَين إنسانيتَين؛ لأنَّ الإنسان وحدَه هو الذي

يملك الوعي، والشُّعور بالذات، وبالآخر، وهذا ما يجعلنا نقول إنَّ كلاً منهما مرتبط بالعقل، وهذه دائرةٌ جديدة مرتبطة أشدَّ الارتباط بسابقتها، هما إذًا خاصيتان عاقلتان.

وهما أيضًا أوَّليتان، بمعنى أنَّهما قديمتان وُجدتَا مع وجود الإنسان على هذه الأرض، فالله سبحانه وتعالى ميَّز آدم عليه السلم بعِلْم الأسماء ، وما الأسماء إلاَّ نوع من اللُّغة تجعله قادرًا على التفكير فيما يحيط به، والتعامل معه، ثم إنَّ عملية التعليم نفسِه لآدم حدَّدت هُويته ومَيَّزته عن غيره من المخلوقات، فهو كائنٌ مختلف يعرف ما لا يعرفون، ولديه خصائص ليستْ فيهم وكلٌّ منهما كذلك مركَّب، بلغة الفلسفة والمنطق؛ واللُّغة تحتوي طرقَ التفكير والتاريخ والمشاعر، وإرادة الناس وطُموحاتهم وشَكْل علاقاتهم، والهُويَّة أيضًا هكذا فى تركُّبها.

وهُمَا إضافةً إلى ذلك تاريخيتان، بمعنى أنَّهما محتاجتان إلى التاريخ أو الزَّمن حتى تتشكَّلاَ وتتعمَّقا، وتأخذا الأبعاد اللازمة، ولا يَتنافى هذا مع ما قُلناه من أنَّهما أوَّليتان، فأوليتهما يُراد منها الإشارةُ إلى ملازمتهما للإنسان، وتاريخيتهما تُشير إلى ما تحتاجانِ إليه حتى تنضجَا ثم إنَّهما جمعِيَّتان، والمقصود من الجامعيَّة أنَّهما لا تعيشان داخلَ الفرد منعزلاً، إلاَّ في صورة ساذجة، لا تجعل منهما مستحقتَين لاسميهما.

اللُّغة والهُويَّة هما إذًا وجهان لشيء واحد، بعبارة أخرى: إنَّ الإنسان في جوهره ليس سوى لُغة وهُويَّة، اللُّغة فِكرُه ولسانه، وفي الوقت نفسه انتماؤه، وهذه الأشياء هي وجهه وحقيقته وهُويته، وشأن الجماعة، أو الأمَّة هو شأن الفرْد، لا فرق بينهما وعلى الرغم من الالتقاء بين اللُّغة والهُويَّة فهل ثمة دوائرُ يفترقان فيها؟ والجواب: هناك مَن يضع حدودًا بينهما، أو لنقل: إنَّ بعضهم يرى الهُويَّة أكثرَ في غير اللُّغة.

العربية هوية

إذا كانت اللُّغة مطلقة هي الهُويَّة كما سَلف، فإنَّ العربية تحديدًا هوية لأصحابها العرب،ولغيرهم مَن يتعبَّدون بها مِن المسلمين ذاتُ خصوصية ، فهي أعلى مستوى من مجرَّد لغة وأكثر عمقًا، وأشدُّ التصاقًا بناطقيها وتمييزًا لهم، إنَّها هوية من طراز خاص، تمتلك الكثير من عناصر القوَّة التي تعطيها هذا كلَّه، ومن هذه العناصر:القداسة فالعربية مقدَّسة في نظر أبنائها، وقداستها مستمدة من ارتباطها بكلام الله تعالى القرآن الكريم بحروفه وألفاظه.

ومعلومٌ أنَّ الصلاة وهي الركن الثاني من أركان الإسلام لا تصلُح بغير العربية، ممَّا يعني أنَّ المسلم غير العربي ملزمٌ بأن يتعبَّد بهذه اللُّغة؛ لذا فهو مُضطر إلى تعلُّمها، وإدارة لسانه بها هذه القداسة تجعل منها جزءًا من الدِّين، والدِّين هو أهمُّ عوامل الهُويَّة وأقواها حضورًا عند الإنسان،

أيًّا كان وإلى جانب القداسة هناكعاملُ قوَّة آخر يتصل بتاريخية هذه اللُّغة، فالتاريخ يعمل فيها عمله، فاللُّغة وعاء التاريخ، وكلَّما كان هذا الأخير ممتدًّا وخصبًا انعكس على اللُّغة قوَّةً وثراء وهنا عنصرٌ لا بدَّ أن نتوقَّف عنده وهو الجغرافيا؛ لأنَّ اتساع مكان اللُّغة يعني اتساعَ حراكها، وزيادة ثرائها، والعربية امتدَّتْ على مساحات شاسعة من العالَم، بفضل الإسلام، وفي كلِّ مكان وصلت إليه كانت تتفاعل مع طبيعته، وسكَّانه، تأخذ منه ومنهم وتعطيهم وبعض اللُّغات تتمتَّع بعنصر ممَّا سبق، أو اثنين أو أكثر؛ لكنَّها لم تصنع حضارة، أو لم تسجِّل سبقًا في مرحلة تاريخيَّة، ونعني بالصناعة أو السَّبْق هنا ليس مجرَّد صناعة حضارة جزئية، أو تحقيق سبق في جانب ما؛ لكن قيادة الحضارة فمثل هذا الإنجاز يكون سندًا كبيرًا لُغةً ورصيدًا يظلُّ محسوبًا لها وهذا ما تَحقَّق للعربية، فقد كانت لُغة الفِكر والعلم والتقدُّم قرونًا عديدة وعلماء اللُّغات صنَّفوا العربية ضمنَ أسرة اللغات المتصرِّفة، وهي أرقى الأسر اللُّغوية، فهي تمتلك وسائلَ كثيرةً تزيد من قدرتها على تحقيق وظائفها في التعبير والتواصُل.

مفهوم الهوية الإسلامية، وركائزها:

في المجتمعات الإسلامية يعد الدين الإسلامي الهوية الأساسية والرسمية لها، فهو الانتهاء الحقيقي والرمز ومحور حياة المجتمع، من خلالها يتفاعل أفراد المجتمع، وحينما يضعف التمسك بالدين والالتزام به في نفوس الأفراد يظل هو الهوية المفقودة[1] التي نبحث عنها، بحكم أننا

مسلمون أولاً وأخيراً، ولأنه ليس من الممكن أن نختار غير الإسلام هوية ونظل مع ذلك مسلمين، فنحن حينما ابتغينا الإسلام ديناً، فقد ارتضيناه هوية[٢] وهوية المسلم تتمثل في حفاظه على دينه، واعتزازه به وتمسكه بتعاليمه والتزامه بمنهجه في صغير الأمور وكبيرها،[٣] قال تعالى: (إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ)[٤] ،والدين في المنظور الإسلامي هو النظام أو المنهج الذي يحكم جميع جوانب الحياة[٥] فالهوية تعني كامل الانتماء بكل أبعاده المادية والمعنوية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية ولا تقتصر على مجرد الانتماء العصبي أو القبلي أو العنصري أو الجغرافي[٦] فهي تكامل نفسي فكري ، وانتماء جاء تحقيقاً وتطبيقاً لقول الله تعالى: (صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً)[٧] ، فالصبغة هي الهوية، والهوية هي الإسلام[٨] والإسلام يصبغ الإنسان بصبغة خاصة في عقيدته وفكره ومشاعره وتصوراته وآماله وأهدافه وسلوكه وأعماله

١-بعض مؤشرات الحفاظ على الهوية، د/ سليمان العقيل مجلة جامعة الملك سعود، المجلد ١٦، ص٢٤٣ ٢- البحث عن هوية تربوية د/ علي مدكور، ص١٠٧ ٣- أهمية التعليم في الحفاظ على الهوية الإسلامية- د بدر البدر ٤-آل عمران: ١٩ ٥-البحث عن هوية تربوية، د/ علي مدكور ص١٠٧ ٦- أزمة البحث عن هوية في مواجهة الحضارة الغربية- د/ محمد النبهان ٠ ٧ البقرة: ١٣٨ ٨- مرجع سابق -د/ سليمان العقيل ص٤٣

قال القرطبي في تفسيره للآية السابقة: فسمى الدين صبغة استعارة ومجازاً حيث تظهر أعماله وسمته على المتدين، كما يظهر أثر الصبغ في الثوب وبعد أن اتضحت الركيزة الأساس للهوية الإسلامية، تليها هنا في الأهمية ركيزة أخرى، وهي اللغة العربية التي اختارها الله لتحمل رسالة السماء الخالدة، فهي لغة القرآن الكريم، ولسان الإسلام وارتباط اللغة العربية بمصدر الإسلام الأول كتاب الله ، جعل لها صلة وثيقة بالهوية الإسلامية، فهي لغة فكر وعقيدة، ولا يفهم الدين، ولا تدرك مقاصده إلا عن طريقها، فهي طريق فهم القرآن والسنة، فأصبحت بذلك إحدى القربات التي يتقرب بها إلى الله تعالى بتعلمها، وقد قرر بعض العلماء أن تعلمها واجب، فما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

وقد اشتملت اللغة العربية على كافة أصناف البلاغة والسمو اللغوي، وكان العرب قبل الإسلام يتكلمون على السليقة دون لحن، ولكن بعد بزوغ شمس الإسلام وانتشاره في المعمورة، واختلاط الفاتحين بغيرهم من أصحاب البلاد المفتوحة،ظهرت بوادر اللحن واللحن هو النطق خطأ ، الأمر الذي دفع الغيورين على دينهم للمسارعة في وضع قواعد تعصم اللسان من الخطأ أو اللحن في كتاب الله، وتساعد على فهمه، فجُمعت اللغة وتم ضبطها وتحديد ألفاظها، فأدى ذلك إلى ظهور المعاجم اللغوية ونشأة وازدهار علوم اللغة العربية، وظهرت المؤلفات في النحو والصرف والعروض وبذا أصبحت اللغة العربية أداة مثلى لنشر الفكر

الإسلامي،وركيزة مهمة للهوية الإسلامية،التي جمعت بين أجناس وشعوب،ووحدت بينها تحت راية الإسلام والهوية بشكل عام والإسلامية بشكل خاص وهي جماع ثلاث ركائز تتمثل فيما يلي:

أولاً: العقيدة التي توفر رؤية كونية عقيدة التوحيد.

ثانياً: اللسان الذي يجري التعبير فيه اللسان العربي الذي اتخذه القرآن لساناً.

ثالثاً: التراث الثقافي ذو المدى الطويل المرتبط بوجود المسلم بفكره وقيمه وعاداته وتقاليده[1] وقد عكف جماعة من العلماء وطلاب العلم على صياغة مفهوم وتعريف خاص بالهوية، والهوية الإسلامية، وقد جاءت بعض تلك التعريفات على النحو التالي:

الهوية هي الآنيَّة والنفس والجوهر، أي الذات بما يلزمها ويلازمها، مما به تتأكد الماهية، وأصلها اللغوي من هو الدال على ما به يكون الشيء، أو أي كائن هو هو وهي هنا ما به تتحقق ذات الإنسان وشخصيته، وما يميزه عن غيرها، فرداً كان أو جماعة[2] وهي حقيقة

١- د/ الاتصال اللغوي بين الشباب المسلم أحمد عبد السلام ص٤١١ ٢- الإصلاح المنشود -عباس الجراري، ص٤٦

الشيء، أو الشخص، التي تميزه عن غيره، فهي ماهيته، وما يوصف وما يعرف به، من صفات عقلية وجسمية، وخلقية، ونفسية[1] وبدون ذكر الكثير تكاد تجمع التعريفات على أنها هى ذات المميز وحقيقته ٠

نشأة الانتماء للهوية الاسلامية والاعتزاز بها:

لا يخفى على أحد أن العرب في جاهليتهم كانوا بحال لا يغبطون عليها، فقد توزعتهم الأديان المختلفة، وعددوا الأرباب، وعقلوا عقولهم عن التفكير، واستحبوا العمى على الهدى، فكانت مكة بحق في جاهليتها معقل الوثنية،فقد وجد حول الكعبة يوم أن فتحها المسلمون ٣٦٠ صنماً٠

وحالتهم الاجتماعية لم تكن بأحسن من حالتهم الدينية، فإذا نظرنا إليها وجدناها قرابة مهتوكة الستر،ورحماً مقطعة، وقبائل متنافرة متدابرة يتربص بعضها ببعض الدوائر، تحجرت قلوبهم، ونزعت الرحمة من نفوسهم، وبدأت تفشو في فريق منهم فاشية سوء من قتل الأولاد خشية الإملاق، ووأد البنات أنفة من العار أما من الناحية الاقتصادية لم يكن لهم من الصناعات شيء ذا غناء، وتجارتهم محصورة في المدن وهي قليلة٠

---

٣ - هويتنا الإسلامية بين التحديات والانطلاق - محمد إسماعيل ٠

وكان العلم والتعليم عند العرب شيئاً غير مألوف، ومن يعرف القراءة والكتابة منهم أقل من أن يذكر، فكانوا حقاً أمة لا تقرأ ولا تكتب وبلاد العرب قبل الإسلام كانت واقعة تحت الاحتلال الروماني والفارسي والحبشي، وبالرغم من أن دولتي الفرس والرومان كانتا قد بلغتا شأناً عظيماً في الحضارة المدنية، إلا أنهما انحدرتا بسبب عوامل الفساد والاضطراب التي كانت تدب فيهما،خاصة في الناحيتين: الدينية والاجتماعية فكانت هذه الحالة السيئة مدعاة للجميع لأن يتطلعوا إلى مخرج مما هم فيه ومن واد غير ذي زرع بدأ الإسلام يغمر الكون هادياً العالمين، وبدأت أول آياته على محمد الأمين عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم:(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْوَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) تتنزل فكان الإسلام هو العامل الوحيد الذي جد على العرب فقوم أخلاقهم، وهذب نفوسهم، ووحد كلمتهم، وأعلى شأنهم، وأعز جانبهم، فأصبحوا بهذا الدين أمة عالمة بعد جهل، ورشيدة بعد غواية، ونابهة بعد خمول.

وتمضي القرون، وتستمر الدعوة الإسلامية، وتعلو المآذن وتنتشر المساجد شرقاً وغرباً، ويدخل أجناس من البشر في دين الله أفواجاً تطبق هذا الدين وتعمل على نشره فتم للمسلمين فتح بلاد فارس كلها وبعض أجزاء الإمبراطورية الرومانية،ورفرفت ألوية المسلمين إبان حكم الأمويين على رقعة من الأرض تمتد من المحيط الأطلسي غرباً إلى ما

وراء حدود الهند والتركستان شرقاً،ثم إلى بلاد القوقاز وأسوار القسطنطينية شمالاً ووجد سكان البلاد التي ساد فيها الإسلام طمأنينة وتسامحاً لم يعهدوه في أزمان حكم عرف فيها الاضطهاد، من أجل هذا لم يبق الإسلام قاصراً على العرب، فازدادت أعداد المنضوين تحت الهوية الإسلامية والمندمجين فيها من الفرس والروم والهند والصين والفضل في هذا عائد إلى عالمية دين هذه الهوية فقد قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) ، وقال تعالى: (قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا) أما في مجال النهضة العلمية فقد سار التقدم العلمي بخطى سريعة مطردة، وبدأت كنوز المعرفة في البلاد المفتوحة تظهر وتُعرف، وتصل إلى أيدي أمينة تقدر ما تحويه من نفائس، فعرفنا حركة تأليف وترجمة للعلوم الطبيعية بلغت في المجد ذروتها حمل العرب والمسلمون لواءها، فسادت اللغة العربية وأصبحت لغة الدين والعلم والدولة والشعر، وإبان حكم الدولة الأموية ازدهرت البصرة والكوفة كمركزين للثقافة والحضارة ، وتألقت بغداد في العصور الذهبية للدولة العباسية وأصبحت وجهة العلم والأدب،وصب فيها أنهار من الذهب من أرجاء الإمبراطورية المترامية، وفي الأندلس وجنوب إيطاليا وصقلية قامت مراكز علمية كانت حواضرها منارات علم ومعرفة وكان الفتح الإسلامي وما جاء من بعده من بناء حضاري من أعظم الأسباب التي نبهت شعوب أوروبا إلى

ضرورة الأخذ بالأسباب التي أخذ بها المسلمون فبعثوا بعوثهم إلى عواصم العالم الإسلامي، بغية اقتباس العلم، ومعرفة ما لدى المسلمين من نهضة حضارية، ووجدت بعوثهم أن الدين الإسلامي قد دفع المسلمين لاقتباس المعارف، والكشف عن أسرار الكون واتسع احتكاك الأوربيين الثقافي بالمسلمين في الأندلس والقاهرة ودمشق وبغداد ،وسائر العواصم الإسلامية،والمدن الكبرى في العالم الإسلامي، عن طريق التجارات والرحلات وأخذ رجال الفكر والعلم في أوروبا ينهلون من مناهل علوم المسلمين، وصارت الجامعات تتنافس في اقتناء الكتب العربية، وكان فريق من علماء الغرب يصرح بأن معرفة اللغة العربية ضرورة لمن يريد أن يحيط بحقائق العلم وهكذا احتلت الهوية الإسلامية الصدارة في العالم، واستمرت على ذلك ردحاً من الزمن، ثم عاشت الأمة الإسلامية معاناة لم يسبق لها مثيل، أضاعت منها ما تلقفته أوروبا وأقامت ركيزتها عليه فكانت النهضة العلمية والانطلاقة الهائلة للمجتمع الغربي.

معالم هويتنا الاسلامية

إن العنصر الأساس والمُكوّن الأول لهويتنا هو الدين الإسلامي الحنيف،ولابد من الإشارة إلى بعض المعالم الأساسية التي ترسم الخطوط الكبرى لدين الإسلام، باختصار ومنها :

الثوابت والمتغيرات - مراعاة مقاصد الشريعة - فقه المصالح والمفاسد - الوسطية والاعتدال - اللغة العربية لسان الهوية.

خصائص الهوية الإسلامية ومقوماتها

لماذا الخوف من الهويَّة الإسلاميَّة، بالرَّغم من الضَّعف الواضِح الَّذي يَحياه المسلِمون؟ والإجابة عن هذا السؤال تكمُن في اشتِمال هذه الهويَّة على خصائص معيَّنة، جعلتْها قادرةً على صهْر الهويَّات الأخرى في بوتقتِها، في أيِّ حالةٍ، سواء أكانت قويَّة أم ضعيفة ومن أهم هذه الخصائص:

أوَّلاً: هويَّة عقيدة صحيحة صادقة تأبَى الذُّلَّ والخضوع:تعتبر هذه الخاصية هي الأساس الَّذي تقوم عليْه هويَّتنا الإسلاميَّة، فليْس الولاء عندَنا للجِنس ولا للَّون ولا للأرْض، وإنَّما الولاء للإسلام، وليْس معنى هذا أنَّ الإسلام يَمنع حبَّ القوم والوطن، بل يحثُّ عليْه ويرحِّب به وهنا يظهر الفرْق بين حبِّ ذي العقيدة الصَّحيحة لقوْمِه ووطنِه، وحبِّ أدْعياء القوميَّة والوطنيَّة؛ فالمسلم الصَّحيح يعتبر حدود الوطنيَّة بالعقيدة، والقوميُّون والوطنيُّون يعتبرونَها بحدود الأرض والجغرافيَّا وإذا كانت مهمَّة أدْعياء الوطنيَّة والقوميَّة المجرَّدين عن العقيدة يروْن مهمَّتهم عند حدود تحرير الوطن واستِرْداد مجده، فإنَّ أصحاب الهوية الإسلامية يروْن ذلك بعض الطَّريق أو مرحلة من مراحله، ويبقى عليهم بعد ذلك أن

يعملوا لتُرفع راية الوطن الإسلامي على كلِّ بقاع الأرض، ويخفق لواء المصحف في كلِّ مكان ولعلَّ هذا الجمع بين الولاء للعقيدة والانتِماء والحب للقوم والوطن، يعدُّ من البدائع التي وفَّق بها الإسلام بين أمرَين قد يبدوان مُتناقِضَين:

الأمر الأوَّل: إذابة كلِّ الأعراق والأجناس والانتِماءات في رسالة واحدة، وهي الإسلام.

الأمر الثاني: عدَم إلغاء انتِماء الأفراد والجماعات للقبائِل والأجناس واللغات، فهذا عربي وهذا هندي، لهم لغاتُهم وأصولهم، ولكن كل ذلك في إطار الإسلام والتفاضل بالتقوى.

وكونها عقيدة صادقةً جعلها تغرس في نفوس أبنائِها حبَّ الجهاد والشّهادة، والاستِعلاء على الخضوع للغُزاة المحتلّين، ويُعتبر هذا الأمر من أخْوف ما يَخافه الأعْداء؛ لذا نجِدُهم دائمًا حريصين على تغْيير مسار الثَّورات في عالمِنا الإسلامي من اتِّجاهها الإسلامي إلى اتِّجاهات قوميَّة أو وطنيَّة؛ وما ذلك إلاَّ لعلم المحتل أنَّه لا يستطيع احتِواء المسلمِّين؛ لأنَّ الأمر عندهم لا يعْدو أحد غايتين: النَّصر أو الشهادة، أمَّا القوميُّون والوطنيُّون فيمكن احتواؤُهم بشيء من الوعود الكاذبة أو المعاهدات الخادعة ولعلَّ هذا الكلام يذكِّرنا بثورة القاهرة ١٩١٩م ضدَّ الاحتِلال، فلمَّا وجد الإنجليز الثورة تخرُج من الأزهر، أدْركوا أنَّها ثورة إسلاميَّة

ولا طاقة لهم بها؛فأسْرعوا بالاستِجابة لطلب اللورد اللنبي المندوب السَّامي في مصر، حينما قال: إنَّ الثورة تنبع من الأزهر، وهذا أمر له خطورته البالغة وطلب منهم الإفراج عن سعد زغلول وإرجاعه إلى القاهرة، وكان سعد زغلول مسيطرًا على الرأي العام، فاستطاع وقف الثَّورة على أساس التفاوُض مع الإنجليز، ولمَّا فشلت المفاوضات قال كلمتَيْه الشَّهيرتَين: خسرنا المعاهدة وكسبْنا صداقة الإنجليز والإنجليز خصوم شرفاء معقولون بذلك هدأت الجماهير على يد قوَّادها القوميين، وهذا المغنم ما كان يَحصل عليه الغزاة من قادةٍ مسلمِّين أصحاب عقيدة راسخة، وحرص صادق على إحدى الحسنَيَين يقول الشَّيخ سيد قطب رحِمه الله -: إنَّ خطر القوَّة الكامنة في العقيدة على الاحتلال ينبُع أوَّلاً من أنَّ الإسلام قوَّة تحريريَّة هائلة، وروحه تأبَى كلَّ اعتداء على الحرية، وتقاوم هذا الاعتداء بصلابة، تقاومه مقاومة إيجابيَّة تهون في سبيلها الأرْواح، ويهون فيها البذل والتَّضحية، فإذا ما استيقظت روح الإسلام في أمَّة، فمن المحال أن تتخلَّى عن حرِّيَّتها، ومن المحال أن تسكت عن الصراع الإيجابي الذي يحطِّم قواعد الاحتلال تحطيماً كذلك ينبع الخطر على الاحتِلال في العقيدة الإسلامية من أنَّها: عقيدة استعلاء واعتزاز وكبرياء؛ فالمسلم حين تستيقظ فيه روح الإسلام، لا يُطيق أن يعلو عليه أحد، ولا يُطيق أن يذلَّ لأحد، ومن ثم ينظر إلى الاحتلال الأجنبي نظرتَه إلى المنكر الذي تتحتَّم إزالته، ويتحتَّم كفاحه؛ تحقيقًا لعزَّة الإسلام،

وصيانة لكرامة المسلمين، وابتغاءً لمرضاة الله وهناك منبع ثالث للخطر على الاحتلال من العقيدة الإسلامية: أنَّها عقيدة تجعل من الوطن الإسلامي كلّه وحدةً، من اعتدى على شبر منهم فقدِ اعتدى عليهم جميعًا، ويتحتَّم على كلِّ مسلم في أطراف الأرض كلّها أن يُعْلِن الجهاد لردِّ الخطر عن ذلك الشبر الواحد من تلك الرقعة الإسلاميَّة العريضة .

ثانيًا: شمولها وملاءمتها لجوانب الإنسان وأطوار حياتِه:

تعدُّ هذه الخاصية من أعظم الخصائص التي تميَّزت بها الهوية الإسلامية، وكانت سببًا في إذابتها لكثير من الهويَّات في بوتقتها، لقدِ ارتفعت بعض الهويات في فترات زمنيَّة طويلة أو قصيرة لكنَّها كانت ترتكز في ارتِفاعها على الحديد والنَّار كوسيلة للقضاء على كلِّ هويَّة تعترض طريقها أمَّا الهويَّة الإسلاميَّة، فإنَّها في سعْيها للارتفاع تسعى لفتْح الإنسان عبر متطلَّبات فطرته الشموليَّة، وإذا تمَّ فتح الإنسان باقتِناع عقله وانفِتاح قلبه،استسلم الحديد والنَّار تلقائيًّا بإسْلام حاملِهما .

إنَّ الواقع الأليم والتِّيه الذي تَحياه البشريَّة لا يمكن الخلاص منه، والعالم يرفض الإسْلام ويلتمس الشِّفاء من مواضع الدَّاء يقول الأستاذ وحيد الدِّين خان: إنَّ دراسة العالم المعاصر تدلُّنا على أنَّ فيضان النَّهضة الماديَّة قد وصل إلى آخر مداه، وأنَّها غير قادرة على إعْطاء السَّكينة لقلْب الإنسان، إنَّ موجةً من انعِدام الثِّقة والطمأنينة النفسيَّة تغْزو العالم،

إنَّ الدين ينهض اليوم من جديد في روسيا، بعد نصف قرن من القهر، وحركات الشباب الفوضويَّة في الغرب نتاج لانعِدام الطمأنينة، ويُطلِق شباب اليابان اسم ثقافة التجارة على ثقافتهم التي لا توافق سوى جزءٍ من حاجات الوجود البشري فداء القلق وانعدام الثِّقة غزا الجيل الجديد في العالم كلّه، إنَّ هذه الأحوال تُتيح فرصة ذهبيَّة لحاملي دين الفطرة لإرْواء عطش العالَم ولإظهار دين الله[1] نعم، إنَّ الواقع الغربي وما فيه من خواء رُوحي زاد من نسب الانتِحار مع توفُّر المتع والملَّذات والشهوات، وهذا خير دليلٍ على مدى احتِياج البشريَّة إلى هذا الدين ٠

ثالثًا: هوية حيويَّة قادرة على إخضاع الهويَّات الأخرى:

وهي من الخصائص التي تَجعل أعداء الإسلام يخافون أشدَّ الخوف من الهوية الإسلاميَّة، وكدليلٍ على مدى هذا الخوْف قولَ نيكسون رئيس أمريكا سابقًا:إنَّنا لا نخشى الضَّربة النوويَّة،لكن نخشى الإسْلام والحرب العقائديَّة الَّتي قد تقْضي على الهويَّة الذاتيَّة للغرب ولقد تحدَّث علماء الغرْب عن حيويَّة الإسلام وقدرته على استِيعاب أطوار الحياة، وقدرته كذلك على توليد أفكار جديدة، ومن هؤلاء العلماء هوكنج أستاذ الفلسفة

١- الإسلام والعصر الحديث، وحيد الدين خان، ص ٥١ ٠

في جامعة هارفارد، حيث يقول في كتابه روح السياسة العالميَّة: أحيانًا يتساءل البعض، عمَّا إذا كان نظام الإسلام يستطيع توْليد أفكار جديدة، وإصدار أحكام مستقلَّة تتَّفق وما تتطلَّبه الحياة العصريَّة، فالجواب عن هذه المسألة: هو أنَّ في نظام الإسلام كلَّ استعداد داخلي للنموّ، بل إنَّه من حيث قابليَّته للتطوُّر يفضل كثيرًا من النظم المماثلة والكاتب الأيرلندي برنارد شو يتحدَّث عن حيويَّة الإسلام، واستيعابه أطوار الحياة المختلفة، فيقول: الإسلام هو الدِّين الوحيد الَّذي يمتلك القُدْرة على استيعاب أطوار الحياة المختلفة في كلِّ العصور ولورنس براون يقول: لقد كنَّا نخوف بشعوب مختلفة، ولكنَّنا بعد اختِبار لم نجد مبرِّرًا لمثل هذه المخاوف، لقد كنَّا نخوف من قبل بالخطر اليهودي، والأصْفر، والبلشفي، إلاَّ أنَّ هذا التخوُّف كله لم يتَّفق كما تخيَّلناه، إنَّنا وجدنا اليهود أصدِقاء لنا، ورأيْنا أنَّ البلاشفة حلفاء لنا، أمَّا الشعوب الصفر فهناك دول ديمقراطيَّة كبرى تقاومها، لكنَّ الخطر الحقيقيَّ كامن في نظام الإسلام وفي قدرَّته على التوسع والإخضاع، وفي حيويَّته، إنَّه الجدار الوحيد في وجه الاحتلال الأوربي.

مقومات الهوية الإسلامية : وللهوية الإسلامية أثر في تشكيل ثقافة الفرد وصناعة أفراد يعتزون بأمتهم وتاريخهم العريق المجيد، وخير مثال على ذلك ما فوجئت به فرنسا بعد أكثر من قرن من عمليات الإبادة والقهر والتخويف بأن مجموعة من الأفراد تقاطروا في إحدى المدن

الجزائرية حيث خرجوا إلى الشوارع يرفعون شعار الجزائر تعود لك يا محمد،وتحدَّث الباحثون أنَّ أهم انجازات ثورة الجزائر أنها أوضحت لفرنسا ولكل العالم أن الهوية الإسلامية لا يمكن ان تنتزع من نفوس آمنت بالله، وذاقت حلاوة الإيمان فالهوية الإسلامية لها عظيم الأثر في تشكيل الثقافة الإسلامية لدى الفرد المسلم حيث يوقن نَّه مسلم عزيز بإيمانه ومستقل به عن الآخرين ، فيتمسك بإسلامه ودينه ويحافظ عليه، ويوالي ويعادي من خلال عقيدته وهويته ويدرك انَّ جميع أبناء المسلمين إخوة له في العقيدة والهوية،والذي كان يعيش فترة العز في العالم الإسلامي كان أمة واحدة تظله راية لا إله إلا الله محمد رسول الله وكان المسلم يخرج من طنجة حتى يصل بغداد لا يحمل معه جنسية أو هويّة وطنية، إنما يحمل شعاراً إسلامياً هو التوحيد، فكلما حل أرضاً وجد فيها له أخوة في الإيمان وإن كانت الألسنة مختلفة والألوان متباينة لأن الإسلام أذاب كل تلك الفوارق واعتبرها من شعارات الجاهلية حينها يدرك الفرد المسلم أنَّه بقدر تقربنا لأعداء عقيدتنا وديننا وحضارتنا الإسلامية، ينعكس ذلك عليهم بمزيد من الكراهية والحقد الدفين، كما قال تعالى: ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ، وبقدر ما يأخذ المسلم من هويات الآخرين القبيحة يؤثر ذلك سلباً على عقيدته وفكره وتحركاته وتوجهاته،كما قال الإمام ابن تيمية: من شأن الجسد إذا كان

جائعاً فأخذ من طعام حاجته استغنى عن طعام آخر، حتى لا يأكله إن أكل منه إلا بكراهة وتجشّم، وربما ضرّه أكْله، أو لم ينتفع به، ولم يكن هو المغذي له الذي يقيم بدنه، فالعبد إذا أخذ من غير الأعمال المشروعة بعض حاجته، قلّت رغبته في المشروع وانتفاعه به، بقدر ما اعتاض من غيره بخلاف من صرف نهمته وهمته إلى المشروع؛ فإنه تعظم محبته له ومنفعته به، ويتم دينه، ويكمل إسلامه لهذا أدرك أعداؤنا مدى ضرورة فتح المدارس الأجنبية في البلاد الإسلامية لعملية بث عقائدهم المناقضة لدين الإسلام، حتى ولو كان في تلك المدارس بعض الأدبيات والمناهج الإسلامية،لكن البيئة الخاصة بها والموجهين والمعلمين والسياق العام فيها يخالف ما يتبناه الإسلام من صناعة فرد مسلم متكامل النسيج الديني والأخلاقي، فنجد أنَّ الحاكم العسكري في مصر : كرومر في عهد الاحتلال البريطاني لمصر كان يؤكد على ضرورة فتح مدارس تغريبية وأهميته في إفساد عقائد المسلمين فأبناء مدرسة فيكتوريا سيكونون جسراً بين الثقافة الإسلامية والثقافة الأجنبية سيكون هؤلاء أتباعاً للغرب ينادون بالهوية الغربية ويحاربون الإسلام والمسلمين لهذا كان للتعليم دور رئيس وعظيم ومهم وخطير في لمحافظة على الهوية الإسلامية وصيانتها ورعايتها وعن أبرز مقومات الهوية الإسلامية، فهي كما يلي:

١ـ الاعتزاز العام بالهوية الإسلامية وبهذا الدين الذي يحمله معتنقوه والمجاهرة به ونشره في الآفاق.

٢ـ صناعة المنظمات والمؤسسات المعنية بالمحافظة على الهوية الإسلامية والدفاع عنها ، وتصحيح الصورة النمطية المسيئة في أذهان الكثير من الكفار سواء في الشرق أو في الغرب عن نظرتهم للإسلام وتجلية صورة الإسلام بصفته السمحة النقية الخالدة.

٣ـ إبراز شهادات الغرب والشرق المنصفة والمحايدة التي تدلل على عظمة هذا الدين وصلاحيته لكل زمان ومكان واستيعابه لجميع الأمور الدنيوية.

٤ـ مجادلة ومناقشة المتشككين بدينهم والرد عليهم، وإبراز مصادر الخلل في التلقي والاستدلال عندهم وعلى رأسهم المنتسبين لليبرالية لأنَّهم أكثر الناس انتشاراً وخصوصا في وسائل الإعلام.

الهوية الإسلامية والقومية العربية:

لكن الذي يؤسف له أن كثيراً من كتابنا ومثقفينا في محيطنا العربي

١ـ كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة ـعبد الرحمن حبنكه ، ص٣٧_٤٠

سطحوا مسألة الهوية، وهمشوا محتواها الإسلامي والعقدي،وربما ألغوه تماماً، وقصروا مفهوم الهوية على الانتماء للعربية، وبعض المظاهر الحضارية والثقافية والفنية المرتبطة بذلك، التي تبلورت فيما بعد في فكرة القومية العربية، ولا يخفى على أحد خطورة هذا المنحى، فالقومية العربية حركة سياسية فكرية متعصبة، تدعو إلى تمجيد العرب، وإقامة دولة موحدة لهم على أساس رابطة الدم واللغة والتاريخ، وإحلالها محل رابطة الدين، وهي صدى للفكر القومي الذي سبق أن ظهر في أوروبا وظهرت هذه الدعوة على يد ثلة من المفكرين النصارى للاستعاضة والحد من فكرة الأمة الإسلامية؛ لتكون فكرة القومية بذلك هي الطعنة الثانية في جسد الأمة الإسلامية بعد سقوط الخلافة على يد أتاتورك عام ١٩٢٤م والطابع الأبرز لفكرة القوميّة العربيّة أنها واكَبها منذ نشأتها خطابٌ بعيد عن الموضوعيّة، وإيجادِ حلول عمليّة حقيقيّة لبناء أمّة؛ حيث كانت العواطف صاحبة الدور الأبرز في تسويق هذه الفكرة في كِيان الأمة الإسلاميّة، أمّا دورها الموضوعي التطبيقي في بناء أمة لها نظامُها الخاص الفريد المنبثق عن مفاهيمها فكل ذلك كان في منطقة العدم؛ إذ لا يوجد نظام متكامل يَنبثق عن الفكرة القوميّة، وقد وجَدنا أنّ حَمَلَة هذه الفكرة أقاموا أنظمة ودولاً تَحكم الأمّة ولا علاقة لها بالفكرة القوميّة كالملكيّة والاشتراكيّة والديمقراطية، فهذه كلها غيرُ مبنيّة على الفكرة القوميّة؛ مما يُظهر قصورها على حساب الواقعيّة التي ينبغي أن تتّسم

بها الهُوية التي تجمع الأمة التي ينبغي أن تُجيب عن أسئلة النهضة، وبناء الأمم والحضارات[1] والمشكلة الأخرى في مسألة القومية والهوية أن العرب ككتلة بشرية ومساحة جغرافية لا يجمعهم تاريخ واحد، ولا ثقافة واحدة، فلكل إقليم تاريخه الخاص، وثقافته المرتبطة بظروفه وعاداته وتقاليده، بل أن اللغة تعجز أحياناً عن جمع شتاتهم نظراً لاختلاف اللهجات واللكنات، فالواقع التاريخي يسجّل أن المنطقة العربية عجّت بثقافات مختلفة متباينة، بل ومتناقضة في بعض الأحيان، فالثقافة الجاهليّة التي عاشَت في عقول العرب قبل الإسلام؛مختلفة أشد الاختلاف عن الثقافة الإسلامية التي ظلّلتهم وظلّلت المنطقة على مدى أكثر من ثلاثة عشر قرناً، فإلى أيّها ننتمي؟ وكيف ننتمي إلى جميع ما عجّ في المنطقة من ثقافات وهي متباينة مختلفة؟ هل ينتمي الإنسان إلى متناقضات تتنازعه وتُشَتِّت وحدة كِيانه؟ والعناصر التي يمكنها بلورة هوية جماعية كثيرة، أهمها اشتراك الشعب أو المجموعة في: الأرض، اللغة، التاريخ، الحضارة، الثقافة، الطموح وغيرهاعدد من الهويات القومية أو الوطنية تطور بشكل طبيعي عبر التاريخ وعدد منها نشأ

١-القومية العربية كهوية - شريف محمد جابر .

بسبب أحداث أو صراعات أو تغيرات تاريخية سرعت في تبلور المجموعة قسم من الهويات تبلور على أساس النقيض لهوية أخرى هناك تيارات عصرية تدعو إلى إلغاء الهوية الوطنية أو الهوية القومية.

عقدة الهوية الاجتماعية:

يثير إدراك انتماء الأفراد للعديد من المجموعات الاجتماعية ذات الهويات الاجتماعية المتعددة المتشابهة سؤالاً مهمًا؛ هو كيف يدمج الأفراد هذه الهويات الجماعية عند تعريف مجموعتهم الخاصة والسؤال الأكثر تحديدًا،هل تؤدي زيادة عدد أعضاء المجموعة إلى تكوين مجموعات خاصة أكثر شمولاً أو أقل شمولاً، وذلك مقارنةً بهويات مجموعة واحدة؟ ومفهوم عقدة الهوية الاجتماعية عند روكاس وبروير نظام نظري يشير إلى التمثيل الشخصي للفرد للعلاقات الداخلية بين الهويات الجماعية المتعددة وتعكس عقدة الهوية الاجتماعية التداخل المدرك وجودها بين المجموعات التي يكون فرد واحد عضوًا فيها في وقت واحد بالإضافة إلى ذكر روكاس وبروير أن الانتساب إلى العديد من المجموعات المختلفة والعديد من الهويات الاجتماعية ربما يؤدي إلى تفاقم عقدة الهوية الاجتماعية؛ وهو ما يمكن أن يعزز تطور هويات اجتماعية تفوقية وهوية عالمية، وهذا يزيد احتمالات تطور الهوية الدولية في الثقافات الفردية.